

ا ترعى الذئاب الغنم

تقديم وإعداد وتعقيب : أبو سعد العاملي - قراءة لكتاب " عندما ترعى الذئاب الغنم"- رفاعي سرور

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد
لاشك أن الإيمان بالغيب يعتبر من أصعب الأشياء على الإنسان، وإن كان يرى أو يحس آثاره كل يوم وليلة، وهو من أجل هذا جعله الله علامة من علامات صدق المرء في إيمانه، { ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون }، فجعل الله سبحانه الإيمان بالغيب من أهم سمات المؤمن الصادق .

ومن الغيب ، الإيمان بالجن، مسلمهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم، كما جاء تفصيل ذلك في سورة الجن وسورة الأحقاف وغيرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة . والشيطان أو إبليس يعتبر أبو الجن ورأس الشر فيهم، منذ خلق الله آدم وحتى تقوم الساعة.

لا همّ لهذا المخلوق سوى التعرض لطريق الهداية بالغواية، وسد طرق الخير بعقبات الشر { لأغوينهم أجمعين }، { لأقعدن لهم صراطك المستقيم }.

ومن أفتك الأسلحة التي يستعملها الشيطان في مواجهة الإنسان ، سلاح الكيد. بقول العلامة ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان): "ومن كيد عدو الله تعالى، أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال { إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين } (آل عمران 175).

ومن مكائده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيد، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه

أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله. كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزُيُوف على الناقدين وكم رُوج من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام، وقطيع الأرحام، وواد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله { عليكم أنفسكم } (المائدة 105) والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون. " أهـ

هذا هو الشيطان، وتلك هي مكائده وحباله التي يتربص للعباد بها الدوائر، ويقعد لنا بها كل مرصد، فمعركتنا معه أبدية، لا نملك معها إلا اليقظة والحيلة والحذر ثم الإعداد وجمع ما يلزم من عتاد للدخول فيها لنبحث عن أسباب النصر فنحققها في أنفسنا، ونتعرف عن أسباب الوهن والهزيمة فنتجنبها، كي يكتب لنا النصر على هذا المخلوق العجيب والخطير، أو على الأقل نقاوم أسلحته ونرد هجماته حتى لا نسقط صرعى في وحل إغراءاته وشهواته، فنكون من الخاسرين والهالكين، ونكون سبباً لتعطل واجبات الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، التي من أجلها كرمنا الله تعالى لنتميز عن باقي الخلائق، وعلى بقية الأمم، فنفوز برضوانه وحنانه، { وذلك هو الفوز العظيم }.

أبو سعد العاملي - شوال 1422 هـ

مقدمة الأخ أبو سعد العاملي

مقدمة:

كم أنا فخور ومعتز بتقديم هذا الكتاب الرائع للأخ الشيخ رفاعي سرور، الذي لم أقابله ولا أظن أنه يعرفني، ولكنني متأكد من أن أرواحنا جنود مجنّدة في عالم الغيب، وبأن الله تعالى كفيّل وقادر على جمعهما.

حسبي أني وقفت على هذا الثغر الخطير، أحاول فيه إظهار ما خفي على الكثير من أبناء الأمة، تتجلى هذه الخفايا في مخاطر وعقبات ومكائد هي أقرب إلينا من أنفسنا التي بين جنبينا، ولا نغير لها كبير اهتمام، بسبب غفلتنا وتأثير الشيطان علينا- كل على - حسب ما تجرع من هذا التخدير الحلو والمر في أن واحد فالشيطان يحاول أن يجرنا إلى حزبه وصفه لكي نرافقه إلى مصيره المحتوم، ويستعمل في سبيل تحقيق ذلك كل الأساليب الممكنة التي لا يمكن أن تخطر على بالنا، وبضحي في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، ويستमित ويصر ويعاود الكثرة تلو الكثرة، في الوقت الذي نقف فيه موقف اللامبالاة والغفلة والاستهانة بهذا المخلوق العجيب والخطير، فنظن أن مجرد لعنه وتحقيره من شأنه أن يحسم المعركة لصالحنا ويرتد كيده إلى نحره. بينما المطلوب منا أكثر من ذلك بكثير، فلا بد من معرفته والاطلاع على أساليبه وحيله، ثم لا بد من الإستفادة من وسائله وأساليبه، وأخيراً - وليس آخرًا- لا بد من امتلاك أسلحة مضادة والدخول معه في معركة فاصلة متواصلة، لا نياس ولا نغفل ولا نتراجع ولا نضع السلاح حتى يحكم الله بيننا وبينه، أو حتى نلقى الله ونحن مسلمون { اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }
حرص الكاتب على إبراز خصائص وسمات الشيطان خلال معركته الفاصلة والدائمة معنا، كفرد ثم كجماعة، وأدرك جيداً خبايا هذه المعركة وسماتها وعتادها ومختلف مراحلها، ثم بيّن لنا بعد ذلك تأثير الشيطان على مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية حاضراً ومستقبلاً، ومدى الحضور القوي والدائم للشيطان في كل هذه الأحداث ثم مدى تأثيره على أوليائه وتسخيرهم لحرب أصحاب الحق ومحاولة وأد كل عمل صالح، وشحذ همم أوليائه لمحاربة الحق وأهله، وإن كانت الضرورة تقتضي منه تدخله الشخصي في بعض المواقف الصعبة والحاسمة ووقف الكاتب على حقيقة هامة يجدر بنا التنبه لها وعدم غفلتها لكي نستطيع فهم هذا الواقع ونكون أهلاً للدخول في الصراع مع الباطل، وأهم من هذا كله، نستطيع امتلاك عقيدة سليمة صحيحة

تجاه التجمعات التي تحيط بنا وأخص بالذكر هذه الأنظمة الحاكمة في العالم (الكافرة منها أو المرتدة)، وهي كونها - أي هذه الأنظمة - تستمد شرعيتها من الشيطان، وهو الذي يقوم على تسييرها والوحي لها والتأثير فيها، ليتحقق عليهم قول الله عز وجل فأصبحوا أولياءه المخلصين، { وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه } .
يأترون بأمره ويقدمونه في كل شيء.

ونرى ذلك جلياً في آثارهم وأفعالهم اليومية، حيث يفسدون ولا يصلحون ، ويهدمون ولا يبنون ، ويحاربون الحق وأهله وينصرون الباطل وأهله .

تلك هي أهم المحطات التي وقف عندها الكاتب وحاول أن يعالجها بالنص الشرعي وبتقديم برنامج نبوي لمقاومة هذا المشروع الإبليسي، ومحاولة إبطاله ومواجهته.

نسأل الله جل وعلا أن يتقبل منه ومننا، ويجزيه خير الجزاء على عمله القيم هذا، ويرزقنا وإياه حياة في طاعته وتوفيقاً لنيل رضاه ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو سعد العاملي - شوال 1422 هـ

مقدمة المؤلف الشيخ رفاعي سرور

لمعالجة قضية الشيطان ثلاث فوائد أساسية..شرعية ونفسية وحركية.

الفائدة الشرعية: هي حماية القضية من طابع الخرافة والشعوذة لتبرز كقضية واقعية علمية محددة وثابتة بنصوص الكتاب والسنة، بحيث ينضبط التصور الغيبي عنها بالتأصيل الشرعي له .

والفائدة النفسية : هي معالجة الشعور الاسلامي المتجهة دائماً نحو باطن الجاهلية لكشف أسرارها المجهولة ومعرفة علله الخفية .كمحاولة لتفسير ظواهرها

ولعل ظاهرة الوحدة الجاهلية على المستوى العالمي هي الظاهرة التي استحوذت على هذه المحاولة الشعورية ولذلك تعاملت الجاهلية مع الشعور الاسلامي تعاملًا خطيراً فقدمت بنفسها لهذه الظاهرة وجواباً لهذه التساؤلات..من الذي يحكم العالم ؟ وكيف ؟ ومكمن الخبث في هذه التفسيرات (وأشهر هذه التفسيرات هي فكرة الحكومة العالمية السرية التي يحكم بها اليهود العالم عن طريق المجامع الماسونية المنتشرة في كل أنحاء) ، أنها وضعت أمام الشعور الإسلامي أهدافاً وهمية وغرست الإحساس بالسيطرة الجاهلية على العالم وذلك في غيبة الإحساس بإحاطة

الله لهذه السيطرة فانطبع في الأذهان أنه ليس هناك شيء في حياتنا إلا وقد أخذ وضعه ضمن المخطط المرسوم للعالم ونشأ إحساس بالتضاؤل أمام الجاهلية كمخطط لا يمكن مواجهته بل ولا معرفة غموضه ، ومن هنا فإن معالجة قضية الشيطان كتفسير شرعي لباطن الجاهلية وظاهرها هي الغذاء الصحيح للشعور الإسلامي المتلهف نحو كشف هذا الغموض، كذلك فإن هذه المعالجة ستكون حرزاً حقيقياً من إحساس التضاؤل الناشئ عن هذا الغموض.

والفائدة الحركية: تبدأ بتقرير أن الاستضعاف هو المرحلة التي تعيشها الجماعة المسلمة وأن هذا التقرير يقتضي ارتباط الفكر الإسلامي بالمرحلة التي تعيشها الجماعة والارتباط بين الفكر والمرحلة ليس مجرد التركيز على القضايا المكية التي عايشتها الدعوة قبل التمكين.

ولكنه يكون بتصوير كل قضايا الإسلام من خلال التحديد المنهجي للدعوة، وذلك باعتبار أن هذا التحديد هو الإطار الأساسي لفكر المرحلة الذي يعالج آثارها ويحقق الخلاص منها.

وفي هذا الارتباط حياة للقضايا وصواب للمنهج. وقضية الشيطان دليل على حتمية هذا الارتباط.

فعندما خرجت هذه القضية من إطار التحديد المنهجي للدعوة، تضاءلت وصارت محدودة بغرض التحرز الفردي منه.

وكذلك عندما افتقدت مهمة التحديد المنهجي للدعوة هذه القضية، ضعف التصور الإعتقادي للعوامل الغيبية المؤثرة بصورة مضادة على واقع الحركة الإسلامية.

وارتباط قضية الشيطان بمنهج الدعوة يعني توجيهها توجيهاً حركياً تتحدد به مفاهيم فكرية وأساليب عملية في واقع الحركة الإسلامية وذلك بتأصيل شرعي تأخذ به هذه المفاهيم وتلك الأساليب الصفة الشرعية لمنهج الدعوة.

الفصل الأول - صورة قتالية

نعلم أن العداة هو العلاقة بيننا وبين الشيطان، والحرب نتيجة طبيعية لكل عداة، فإذا تأكد شعورنا بالحرب القائمة بيننا وبين الشيطان فإن هذا بالطبع سيعمق إحساسنا بقيام هذا العداة.

ولكي لا يكون شعورنا بتلك الحرب ضعيفاً أو سطحياً فإننا سنبدأ بصورة قتالية لتلك العلاقة، لأن القتال فيه من الضراوة والعنف ما يعمق الإحساس بتلك الحرب في ضمير المسلم وبهذا نعطي للعداء والحرب بيننا وبين الشيطان إحساس اليقظة والانتباه والحذر.

وإذا أخذت الحرب التي بيننا وبين الشيطان هذه الصورة القتالية رأيناها أمامنا حقيقة لها كل صفات ووسائل وتقاليد الحرب المعروفة لنا في واقعنا البشري.. فالشياطين هم جنود إبليس سواء أكانوا من الجن أو الإنس ، والله سبحانه يقول : { فكذبوا فيها هم والغاوون، و جنود إبليس أجمعون } (الشعراء 95،94) والعلاقة بين إبليس و جنوده علاقة ولاء وطاعة وهما أول الضرورات التنظيمية في أي حرب، والله يقول { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } (النساء 76) وبهذا الولاء تكون الحزبية { استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون } (المجادلة 19).

و حينما ينطلق هؤلاء الجنود لإضلال الناس يخرجون في سرايا دليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لإبليس كرسيًا فوق الماء يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم مكانة أعظمهم فتنة " (رواه مسلم وأحمد).

ولعلنا نلاحظ أن كون الكرسي فوق الماء تحقيق لأهم تقاليد الحروب وهي إنشاء مركز القيادة بعيداً عن واقع القتال ليتحقق لهذه القيادة التركيز والنظرة الشاملة.

ولهؤلاء الجنود الخيل وهي أداة أساسية في الحروب وفي هذا يقول الله سبحانه { واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً } الإسراء 64.

وفي هذه الحرب السهام ، وهي كذلك أهم أداة الحروب، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : " النظرة سهم من سهام إبليس يصيب بها قلب المؤمن ". ولعلنا نلاحظ ان هذه السهام تصيب وأن إصابتها قاتلة لأنها تصيب القلوب وأنها بتوجيه القائد نفسه إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف السهام إلى إبليس ذاته فقال : " من سهام إبليس " (رواه الحاكم وأحمد).

وفي هذه الحرب تقاليد النصر والهزيمة، فكما أن المنتصرين في الحرب يرفعون راية النصر فإننا نجد ذلك في حرب الشياطين إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما من خارج يخرج من بيته

إلا ببابه رايتان، راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عز وجل اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته" (رواه أحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط بسند جيد - الدين الخالص ج 9 ص 6).

وكما ترفع الراية في موقع الانتصار فإنها تبقى مرفوعة في مواقع الاحتلال المستمر ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته " (رواه مسلم).

فدل ذلك على أن السوق موقع احتلال الشيطان ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : " أشتر الأماكن الأسواق " (رواه مسلم وأحمد).

وفي هذه الحرب العنف والشدة، والله سبحانه يقول { ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً } (مريم 83 ، والأزهو الحركة العنيفة للماء عند الغليان)

وفي هذه الحرب التربص والترصد لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه " (رواه مسلم).

ثم يكون الحصار بعد الترصد بدليل الآية { فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين } (الأعراف 16-17).

وفي هذه الحرب الشرك بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه " (بفتح الشين والراء في رواية، وفي الأخرى بكسر فسكون ، والحديث رواه الترمذي).

وفي هذه الحرب الحراسة المشددة وهذا ما واجهته الشياطين لما صعدت إلى السماء لاستراق السمع فقالوا : { وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً } (الجن 8-9).

فلا تكون هناك ثغرة من خلال فراغ، ولا من خلال حارس ضعيف لأنها { ملئت حرساً شديداً وشهباً } ، بل إن مجرد الاقتراب من السماء من أي جانب أصبح أمراً مستحيلاً لأنهم لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب { (الصافات 8).

ولكن الشياطين في تلك الحرب لا تياس، بل هي تواجه هذا الموقف الخطير بالأسلوب الانتحاري الذي يقدم به الفرد على

مهمة معروفة النتيجة فيقول النبي صلى الله عليه وسلم في الشياطين التي تسترق السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض - فريما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه" (رواه البخاري).

وفي هذه الحرب يكون الأسر، وهذا ما حدث لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد الشياطين الذين تسللوا إلى المدينة فأخذه وأراد أن يربطه في سارية المسجد، كما جاء في مسند أحمد: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة مكتوبة فضم يده فلما صلى قالوا: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ فقال لا، إلا أن الشيطان أراد أن يمر بين يدي فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وأيم الله لولا ما سبقني إليه أخي سليمان

يعني دعاء سليمان " رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من) لارتبط إلى سارية من سواري المسجد) والربط في سارية ("بعدي المسجد كان من تقاليد أسر زعماء الكفار حتى أمر رسول الله بربط ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة) يطيف به ولدان أهل المدينة" (رواه البخاري والنسائي).

ولذلك كان رسول الله يقول لأبي هريرة عندما أتاه الشيطان وهو "يحرس بيت المال: " ... ماذا فعل أسيرك الليلة؟

ولما حرم الله سبحانه وتعالى على الشياطين التحرك في رمضان لم يكن ذلك بالزام شرعي طبعاً لأن الشياطين لا تخضع لأي إزام شرعي، وإنما كان بتعجيزهم عن الحركة وذلك بأسرهم كما قال رسول الله: " إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين فلا تستطيع أن تصل إلى ما كانت تصل إليه غيره" وفي رواية: " صفت الشياطين" (21)

وكما يقع الأسر على الشيطان فإنه يقع أيضاً منه على الإنسان ودليل ذلك حديث عائشة إذ قالت: " حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءً ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة، فقال: أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهرًا طويلاً ثم رده إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة" (رواه أحمد)

وفي هذه الحرب فكرة السحق الشامل وفي ذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" (رواه مسلم وأحمد)

وهذا ما ظنه إبليس { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه } سبأ 20 ، ذلك لأن إبليس قال في البداية: { لأحتكن ذريته } الإسراء 62 ، ومعناها: لأستأصلن.

وفي هذه الحرب أسلوب الاغتيال بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أسألك العافية في الدنيا، احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي". (رواه النسائي وابن ماجه) وذلك في تفسير قول الله على لسان إبليس : { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين } الأعراف 17.

وفي هذه الحرب الحصون التي يلجأ إليها الجنود حماية لأنفسهم. ففي حديث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها... " فكان مما قال لهم: " وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم.. كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله". (الترمذي).

وفي هذه الحرب..الجوار ، وقد أراد الله سبحانه أن يحفظ عبداً من عباده من ضراوة تلك الحرب فأجاره من الشيطان بدليل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ألم يكن فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - يعني عمار بن ياسر. (البخاري وأحمد) وإجارة الله سبحانه وتعالى تؤكد شدة الخطر الذي يحيط بهذا العبد حتى اقتضى الأمر هذا الجوار الإلهي.

تقييم عام:

بعد تحديد الصورة القتالية للحرب بيننا وبين الشياطين يحسن أن نقيم هذه الحرب لتحقيق مزيد من العمق للإحساس بالعداء بيننا وبين الشيطان ونبدأ حقائق التقييم بالنتيجة النهائية لتلك الحرب..لترى أن خسائر البشر فيها من كل ألف: تسعمائة وتسع وتسعون ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل: " يقول الله لآدم يوم القيامة: يا آدم ابعث بعث النار، فيقول يا رب، وما بعث النار؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون في النار وواحد في الجنة" (البخاري ومسلم والترمذي وأحمد) . وهذه النتيجة الرهيبة هي تفسير قول الله عز وجل: { ويوم

يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس}. (الأنعام 128).

وقوله عز وجل على لسان إبليس : { ولا تجد أكثرهم شاكرين } .
الأعراف 18.

ومما يزيد هذه النتيجة رهبة هو علمنا بأن هذا الواحد من الألف الذي نجا، لم يتحقق له النجاة إلا بفضل الله ورحمته بدليل قول الله عز وجل { يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ولولا فضل رحمته ما زكى منكم من أحد أبداً، ولكن الله يزكي من يشاء، والله سميع عليم } النور 21.

ومن هنا كان من حقائق تقييم هذه الحرب، فرح الله عز وجل بعباده الناجين منها بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية - مهلكة - معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده طعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده" (رواه الجماعة). وفي رواية : .. " فقال من شدة فرحه : اللهم أنت عبدي وأنا ربك هذه هي الحرب ، وهذا هو الخطر الذي يفرح الله بالناجين منها كما فرح هذا الرجل الذي ضلت ناقته بل أشد

الفصل الثاني - عمل الشيطان

ملحوظة - تعقيبات الأخ أبو سعد العاملى بين الأقواس

بعد عرض تلك الصورة القتالية للعلاقة بيننا وبين الشيطان لتعميق الشعور بالخطر منه ، نبدأ في تحديد تلك العلاقة بصفة عملية لتحقيق المواجهة معه.

ولما كان طرف التأثير في تلك العلاقة هو عمل الشيطان، كان لابد من تحليل هذا العمل، وتحليل عمل الشيطان يعتبر في الأصل مهمة نقلية ترجع إلى نصوص الكتاب والسنة والدور العقلي فيها محدود بحدود تلك المهمة وهذا من الناحية الشرعية.

كما يرجع هذا التحليل من الناحية اللغوية إلى تفسير مادة الشيطان وإبليس. وهي متفقة تماماً مع نصوص الكتاب والسنة في تحليل هذا العمل. ولذلك سنجد في التفسير الشرعي كل الحقائق المأخوذة من مادة " شيطان " وهي " الشطط " وهو العلو والبعد

و" الشط " وهو التقابل وال ضد

"و" شاط " وهو الاحتراق والنار
و " أشاط " وهو الإهلاك والتلف
و " شوطاً " وهو الابتعاد
و" شطن " : شيطان علي صيغة فيعال
"ومادة " إبليس " وهي " الحزن " و" الحيرة " و " اليأس " و " الندم

الإصرار:

وبمجرد البدء في المهمة تفاجئنا الصفة العامة في عمل الشيطان وهي صفة الإصرار على تحقيق الهدف وقد تنبيه إلى تلك الصفة من خلال الصيغة العامة للنصوص الواردة في عمل الشيطان . ومنها: لأحتنكن . لأقعدن . لأغوينهم . لأهلكنه . وهي صيغة الحزم المؤكدة لصفة الإصرار، ويذكر القرآن إصرار الشيطان معبراً عن الهدف بالظن الذي صدقه إبليس على البشر بصيغة الحدوث الفعلي، وذلك في قوله تعالى { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين } سبأ 2 غير ان هذه الصيغة مجرد تنبيه على تلك الصفة، أما الإدراك الكامل لها فإنه يكون بالتتبع الدقيق لأساليب الشيطان حيث نجد أول دلائل الصفة أن الشيطان لا ييأس وليس أدل علي ذلك من أن إبليس قد خصص للنبي صلى الله عليه وسلم شيطاناً ولم يستثن النبي عليه الصلاة والسلام من تخصيصه شيطاناً لكل إنسان (بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل إنسان قرين من الشياطين .. قالوا: حتى أنت يا رسول الله ؟ قال: نعم ، حتى أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم – رواه مسلم) وهذا معناه أنه ليس عند إبليس حالة ميئوس منها، ولا تجدي معها المحاولة وبالرجوع إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لإبليس كرسيًا فوق الماء" ، نجد عبارة يقولها الشيطان لإبليس وهي : ..ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته" وواضح فيها أن الشيطان لا يرجع عن هدف للإفساد إلا إذا تحقق

وقد يخفق الشيطان مع الإنسان في مرحلة من مراحل إضلاله ولكنه لا ييأس من مرحلة ثانية وثالثة ، ولهذا قعد الشيطان لابن آدم في كل مرحلة من مراحل الإلتزام بهذا الدين بما يجعله يتراجع.

وذلك بإثارة مشاعره نحو الآباء والأجداد لجعله يتراجع عن الإسلام ، وإثارة مشاعره نحو الأرض والوطن لجعله يتراجع عن الهجرة.. وإثارة مشاعره نحو الزوجة والمال لجعله يتراجع عن الجهاد.. فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن الشيطان قعد

لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فقال: فعصاه فأسلم .. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماؤك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول قال: فعصاه فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويُقسم المال فعصاه فجاهد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة " (رواه أحمد)

وقد يبأس الشيطان في تحقيق هدف له بدليل قول رسول الله صلى الله عليه : " إن الشيطان قد أيس أن يعبه المصلون ولكن في التحريش بينهم " (رواه أحمد)

ولكن كما وضح من الحديث أن الشيطان عندما يبأس فإن يأسه لم يكن كاملاً إذ أنه أبقى في نفسه أملاً في بقية من هذا الهدف ليتمكن بها من تحقيق ما يوازي الهدف الميئوس منه ، وذلك عندما رضي بالتحريش الذي يعتبر بداية طبيعية للعداء الذي يعتبر هو الآخر بداية طبيعية للاقتتال الذي يكون به الكفر (لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض - رواه الستة)

ومن هنا لم يكن قليلاً أن يرضى الشيطان بالتحريش عندما يبأس من أن يعبد، ولذلك يبين ابن القيم أن الشيطان عندما يبأس من المرحلة التي بعدها فيقول : " و لا يمكن حصر أجناس شره فضلاً عن أحادها إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه ولكن ينحصر شره في ستة أجناس لا يزال ابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر:

الشر الأول : شر الكفر والشرك، فإذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره واستعان به على أمثاله وأشكاله وصار من دعاة إبليس ونوابه.

فإن يبأس من ذلك نقله إلى مرتبة البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والعصيان لأن ضررها في الدين نفسه وهو ضرر متعدد فإن أعجزه من هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة نقله إلى المرتبة الثالثة وهي الكبائر.. ولا سيما إذا كان عالماً متبوعاً فهو حريص على ذلك لينفر الناس منه ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه..

فإذا عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى مرتبة الصغائر وهي التي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا

بفلاة من الأرض" وقال: " ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما تصيب من اللمم" مسند أحمد جزء أول .

فإن أعجزه العبد عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ، فإذا أعجزه العبد عن هذه المراتب الخمس سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه وقصد إخماله وإطفائه ويشوش عليه قلبه ويشغل بحربه فكره وليمنع الناس من الانتفاع به .

ثم يقول : فتأمل هذا الفصل وتدبر موقعه وعظيم منفعته واجعله ميزانك تزن به الناس وتزن به العمال فإنه يطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق والله المتعال وعليه التكلان، ولو لم يكن من هذا التعليق إلا هذا الفصل لكان نافعا لمن تدبره ووعاه" اهـ .

ومن إصرار الشيطان على الهدف نجد الربط بين أساليب الشيطان وهدفه بصورة نهائية حتى جاءت صيغ الاستعاذة بالله من هذه الأساليب بنفس صيغ الاستعاذة من الشيطان نفسه.. ومن ذلك الاستعاذة من الدين .

حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه يقول : " اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من كل ذي شر أنت أخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر". (رواه الترمذي وأحمد)

وذلك باعتبار أن الذنب هو ركيزة الشيطان، وأن الدين لا يغفر حتى للشهيد بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين ". (رواه مسلم وابن ماجه وأحمد)

ومن إصرار الشيطان على الهدف أسلوب (الخطوات)، ذلك أن الشيطان يوحى بعمل لا تظهر له نتائج مباشرة ولكنها تظهر بتتابع وحي الشيطان بعمل آخر فيظهر في النهاية أن العمل الأول كان خطوة في تحقيق تلك النتائج ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " يأتي الشيطان إلى أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق الله ؟ فإذا بلغه فليستعذ ولينته " (رواه السبعة إلا أبو داود) وفي رواية : " من خلق السماوات؟ فيقول : الله . من خلق الأرض ؟ فيقول : الله

وواضح من الحديث أنه لم يعرف أنه من الشيطان إلا ببلوغه " من خلق الله " ولهذا قال الرسول : " فإذا بلغه فليستعد ولينته " أي بلغ " قوله : " من خلق الله ؟

ويقول ابن عباس رضي الله عنه في هذا الأسلوب: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت " (رواه البخاري)

ومن هنا جاء التحذير من هذا الأسلوب في قول الله سبحانه : { ولا تتبعوا خطوات الشيطان } البقرة 208 وقوله عز وجل { ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر } النور 21. (انتهى)

أقول : من هنا يمكننا القول أن الشيطان لا يزال يصرّ ويصرّ ((حتى يبلغ هدفه، والإصرار ولاشك نقيض اليأس والملل ، وهي من صفات الفاشلين . بينما الإصرار يعتبر من أهم صفات الناجحين الطموحين ، الذين لا توقفهم أية عقبة مهما كانت كبيرة، من أجل ((مواصلة الطريق حتى بلوغ الهدف

المؤمن - من باب أولى - لا يجب أن يعرف اليأس ، بل عليه أن ((يصرّ ويعاود الكرّة تلو الكرّة حتى يحقق ما يصبو إليه ، خاصة وأنه على الحق، وخاصة أن كل أعماله محسوبة وما جور عليها من قبل الله عز وجل ، أما القعود والاستسلام لليأس والفشل أيضاً سيحاسب عليه المؤمن وسيلقى ما يستحق من جزاء - في الدنيا ((والآخرة

فكم من مسألة نالها الإنسان وبلغها، بعدما بلغ به اليأس مداه ((وكان على شفا جرف أن يترك المحاولة ، إلا أنه قام بالمحاولة الأخيرة - واليأس - في نظره ، فكانت النتيجة أن نال ما كان يصبو إليه ((

وحري بنا أن نلتفت إلى تجارب الأنبياء والمرسلين من قبلنا، ((وكيف حصلوا على ما حصلوا عليه من نصر وتمكين لدعواتهم ، لولا أنهم صبروا وصابروا وواصلوا المسيرة رغم كثرة العقبات التي كانت تواجههم ، و كان نصر الله يأتي وينزل عليهم في اللحظة الحرجة من عمر مسيرتهم { حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا، فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين } وقوله تعالى { فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً { ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإصرار في أعمالنا وبعده عنا اليأس والملل ، حتى نستطيع تنفيذ أوامر الله عز وجل والانتهاء عن ((نواهيه، أمين والحمد لله رب العالمين

التركيز :

ولما كان هدف الشيطان ضخماً فقد اقتضى الأمر عنده أن يكون هناك تركيز في أعماله بحيث يتحقق بأبسط عمل شيطاني أكبر نتائج وأثار ممكنة.

واهم صفات التركيز في أعمال الشيطان صفة الاهتمام بالبداية: وذلك لأنه في بداية أي أمر تحديد لاتجاهه وطبيعته، فالشيطان بإفساده للأمور من بدايتها يفسد استمرارها وغايتها وما يؤكد هذه الحقيقة هو محاولة الشيطان لإفساد حياة الإنسان من خلال أي نقطة بداية فيها ، ومن هنا كانت وصايا النبي في بداية الأمور.

مثل وصيته إلى الزوج في أول ليلة له في زواجه بقوله : " إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً، فليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه.." (رواه أبو داود وابن ماجه)، وفي رواية : " ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم".

وذلك باعتبار أن أول ليلة هي بداية الحياة الزوجية ووصيته إلى الزوج عند الجماع بقوله: " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يقربه الشيطان" (رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي). وذلك باعتبار أن الجماع هو بداية الخلق إذا قدره الله وسنته صلى الله عليه وسلم بالأذان في أذن المولود عند ولادته دليل حديث أبي رافع: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أدن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها بالصلاة" (رواه أحمد وأبو داود والترمذي). وذلك باعتبار أن الميلاد بداية ثانية لمرحلة جديدة من مراحل الخلق ، ولهذا يمس الشيطان كل مولود عند ولادته ليتحقق له بهذا المس كسب عمر الإنسان كله والتأثير فيه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها - ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم {واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } آل عمران 36 (رواه البخاري وابن ماجه).

ومن هنا كان التركيز في البداية باعتبار الزمان. فكان الاهتمام ببداية كل يوم بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا تحيفوا بصلاتكم بين طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان - أو الشيطان" (رواه البخاري).

وفي هذه الحديث نلاحظ أن النهي عن الصلاة عند الشروق والغروب رغم أن الشمس تطلع بين قرني شيطان عند الشروق فقط، ولكن لأجل شروقها بين قرني شيطان أصبح أثره ممتداً إلى الغروب وبذلك يكون الشيطان قد سيطر بالبداية على النهاية ولأجل أن التأثير الشيطاني بالبداية يمتد إلى النهاية إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا إذا نسينا التسمية في أول الطعام أن نقول : " بسم الله أوله وآخره " (رواه أبو داود وأحمد) وكان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند كل صباح : " أصبحنا وأصبح الملك لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " (رواه أحمد وأبو داود والدارمي والموطأ) وكان الاهتمام ببداية كل ليلة بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جابر ابن عبد الله : " إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم - فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ " (رواه مسلم) وكان دعاء النبي عند كل مساء : " أمسينا وأمسي الملك لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " (رواه أحمد والموطأ وأبو داود والدارمي) .

وكما يركز الشيطان على البدايات في حياة الإنسان باعتبار الزمان فإنه يركز عليه باعتبار المكان ومن هنا فإن الحرز من الشيطان عند تغيير الأماكن يكون في بدايته .

ففي دخول البيت يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء " (رواه مسلم) . وفي نزول أي منزل بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من نزل منزلاً فقال : أعوذ بالله من كلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل منه " (رواه مسلم) .

وفي دخول القرية فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : " يا أرض : ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك " (رواه أبو داود) .

وهناك مشهد جميل نرى فيه قيمة البداية وهو مشهد فتح مكة حيث نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل مكة وهو ساجد على الناقة.

ذلك أن السجود حرز من الشيطان فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مسافة الدخول فرصة للشيطان قد يغتنيها لتكون البداية له. ولكن نزداد شعوراً بقيمة البداية في الأحداث والمواقف. نعلم أن من أسلوب النجاة من الشيطان هو الخروج من الموقف الذي كانت بدايته لحساب الشيطان مثل موقف الغضب الذي وصى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغير الإنسان حالته التي غضب فيها، فيجلس إن كان واقفاً أو يقوم إن كان جالساً.

ومثل تغيير موضع النوم الذي يأتي فيه الشيطان إلى الإنسان بحلم مفزع حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات ويستعذ من الشيطان بالله ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذي كان عليه" (رواه مسلم).

لقد رحم الله الإنسان لما تاب على آدم قبل أن ينزل إلى الأرض، ذلك أن نزول آدم كان عقاباً على الخطيئة التي أخطأها فكانت توبة الله قبل العقوبة والله سبحانه لا يعاقب على خطيئة قد تاب على صاحبها ولكن تقديم التوبة قبل العقاب بالنسبة لآدم كان لأجل أن تبدأ حياة آدم على الأرض بتوبة بدلاً من أن تبدأ بخطيئة حتى لا تكون البداية لحساب الشيطان، كما رحم الله الإنسان لما أخرج آدم يوم الجمعة وهو يوم خير.

وعلى ضوء هذه الحقيقة نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها" (رواه مسلم).

رغم أن الخروج من الجنة كان هو الأمر المحذور ولكن الله برحمته حقق خيرية يوم الخروج رحمة ببنى آدم باعتبار أن النزول إلى الأرض كان بداية بكل الاعتبارات زماناً ومكاناً وحدثاً، ونمر الآن إلى عنصر الزمن أو الوقت، الذي يعتبر من أهم العناصر التي يلعب عليها الشيطان لترجيح كفته في هذه الحرب (انتهى).

أقول: محاولة منا الاستفادة من عدونا اللدود والأبدي: الشيطان ((والرجيم، وإعداداً لهذه المعركة أو بالأحرى لهذه الحرب الشرسة والدائمة معه، يجدر بنا أن نقف نترقب الوسائل والمعدات التي يستعملها هذا العدو لمحاربتنا، وما هي مواطن قوته وضعفه، لكي تتمكن من الاستعداد الجيد لهذه الحرب، ونستطيع بالتالي مقاومته ودحض مخططاته حتى ندخل في عباد الله المخلصين

الذين مدحهم الله عز وجل واستثنائهم من قائمة الذين يسيطر عليهم الشيطان { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من تبعك من الغاوين } وحيث قال إبليس { لأقعدن لهم صراطك المستقيم { (إلا عبادك منهم المخلصين {

الوقت :

ولما كانت غواية الناس هي الهدف الذي جده إبليس وأصر على تحقيقه وكان هذا الهدف ضخماً وواسعاً فقد اقتضى ذلك عنده صفة التركيز التي يتحقق بها عمله أكبر تأثير ممكن للشر في واقع الناس. ولهذه الصفة كان اهتمام الشيطان بالوقت باعتباره زمناً محدداً للهدف الضخم، وقيمة الوقت عند الشيطان تأتي من أن حياته باعتباره الفرصة الزمنية لتحقيق هدفه هي كل ما استطاع أن يحصل عليه ويحققه لنفسه بعد أن لعنه الله وأخرجه من الجنة ولذلك نجدها فرصة عالية عنده { قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم } (الحجر 36-37).

وحتى اليوم المعلوم ذاته سيدخل في هذه الفرصة ذلك لأن الشيطان لا يعتبر أن الفرصة لن تنتهي إلا بالدخول الفعلي في النار، وهذا معنى الآية { وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوْموني ولوموا أنفسكم، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي، إني كفرت بما أشركتمون من قبل، إن الظالمين لهم عذاب أليم } (إبراهيم 22) وهذا معناه أن انقضاء الأمر عند الشيطان لا يكون إلا في النار. ولذلك جاء عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد ما ثبت أن للشيطان أثراً يوم القيامة وذلك في تفسير قول الله { الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس } البقرة 275. حيث قالوا: المس هو الخيل في العقل يوم القيامة. (ومس الشيطان هو صورة من صور التناسب بين الجزاء والعمل التي ستكون يوم القيامة، والتناسب بين عمل الربا وجزاء التخبط يرجع إلى بقية النص القرآني وهو قول الله { ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا } البقرة 275، وهذا قياس عقلي للربا على البيع فكان الجزاء على القياس العقلي الفاسد في الدنيا هو الخيل في العقل يوم القيامة.)

كما تأتي قيمة الوقت من أن حياة الإنسان هي الأخرى فرصة إضلال لا تقل عن فرصة حياته هو

ومن هنا قرر الشيطان أن تكون كل لحظة في حياته وحياة الإنسان موقف إفساد ووقت إضلال وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال له ربه عز وجل: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني" (رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري). وبذلك تضمن الحديث نص قرار الشيطان بإسغلال كل وقت إضلالهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان" (رواه الترمذي). حيث أن لفظة استشرفها تعني النظر إلى الموضع الذي سأخرج منه المرأة لاتباعها فلا تضع لحظة خرجت فيها المرأة من بيتها دون أن يكون الشيطان معها والإمكانية العملية للشيطان في سرعة الحركة هي التي يكمل بها خطر الاهتمام بالوقت عنده ودليل تلك الإمكانية هي محاولة استراق السمع في السماء إذ أن السرعة هي أساس تلك المحاولة بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضاً فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً - للكلمة التي سمعت في السماء" (رواه البخاري).

وبذلك صار في تحرك الشيطان مؤشر على قيمة الوقت وعنصر السرعة بدليل قول الله عز وجل { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين } الأعراف 175. حيث يدل هذا النص على موقف الشيطان فتشعر فيه بسرعة الحركة حيث لا نجد أي لحظة ضائعة بين انسلاخ العبد من آيات الله ومتابعة الشيطان له.

ومن أهم صفات التركيز في أعمال الشيطان نجد الاهتمام بالأساس الذي يقوم به الحساب على الأعمال عند الله سبحانه. لأن الشيطان يعلم أن حساب الله يقوم على معنى العمل وحقيقته ومن هنا أوحى الشيطان إلى المشركين بأن يُتِّكُوا آذان الأنعام كما في سورة النساء { ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان

الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً {النساء 119

فبالرغم من بساطة هذا العمل شكلاً وعدم الشعور منه بخطر ظاهر إلا أن الشيطان قد اهتم به باعتبار معناه وحقيقته وهو أنه تغيير لخلق الله الذي يكون جزاؤه عند الله اللعن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لعن الله النامصة والمتنمصة والفالجة والمتفلجة والواصلة والمستوصلة...المغيرات لخلق الله " رواه السبعة.

ولذلك يقول ابن جرير الطبري في تفسير الآية : " أراد بذلك الخبيث أن يدعوهم إلى البحيرة - وهي بتك أذان الأنعام - "فيستجيبوا له ويعملون بها طاعة له

وكذلك الاهتمام بالأساس الذي يتحقق به الإهلاك بسنن الله القدرية. وقد كانت هذه الفكرة أساس الخطة التي وضعها للمشركين في محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت فكرته هي أن يجمعوا من كل قبيلة شاباً فيقتلوا النبي ضربة رجل واحد فيتوزع دمه على القبائل فلا يستطيع أحد أن يأخذ بثأره فالشيطان لم يكن يهمنه أن يؤخذ بثأر النبي أو لا يؤخذ، ولكن الذي كان يقصده إبليس هو أن يشترك العرب جميعهم في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فيحل عليهم جميعاً غضب الله وبذلك كان أساس الفكرة هو تحقيق الاشتراك في المسؤولية وهي حقيقة قدرية هلكت بها ثمود { إذ انبعث أشقاها، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها، فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، ولا يخاف عقباها } الشمس 12-15. واستحقت بذلك ثمود كلها عذاب الله لما انبعث أشقاها

وهذا هو نص الخطة كما جاء في سيرة ابن هشام: قال ابن اسحاق: لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة... قال ابن عباس: لما اجتمعوا لذلك واستعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي استعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ فقال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي استعدتم له فحضر معكم ليستمع ما تقولون وعسى أن لا تعدموا منه رأياً

ونصحاً: قالوا: أجل.. ثم قال قائل منهم: إحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً.. فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله إن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب.. ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع.. فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا برأي ألم تر حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو تم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه حتى يبائعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأ بهم فيخرج أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد.. فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي رأياً ما أراكم وقفتم عليه بعد.. قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: إني أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدأ نسيباً وسطاً ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا أرى غيره. فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت الليلة على فراشك. (سيرة ابن هشام). (انتهى)

أقول :من هنا واستفادة من خطط إبليس في استغلال عنصر ((الزمن كواحد من أهم العوامل التي يركز عليها ويستصحبه معه في هذه المعركة، ينبغي على المسلم بصفة عامة وعلى الداعية والمجاهد بصفة خاصة أن يولي الاهتمام الأكبر للوقت ، وأن يعتبره من أهم الأسلحة التي تغفل عنها ونضيعها في حياتنا ، باعتباره العنصر الأهم الذي سيحسم المعركة بيننا وبين ((الشیطان

فالوقت هو العمر، وعمر الإنسان هو المرحلة المحدودة أو ما يسمى بالأجل في القاموس الشرعي، فترة منحها الله عز وجل لعباده لكي يحققوا فيها العبادة وعمارة الأرض وفق الأوامر الإلهية { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وقوله تعالى {وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} [البقرة 36] ، بعكس الشيطان، الذي منحه الله تبارك وتعالى فرصة تحقيق ذلك من قبل فرفض وتكبر على أوامر ربه، فأبقاه الله تعالى فتنة ومحنة لبني البشر لكي يمنعه من تحقيق الهدف الذي خلق من أجله، ولكي - في النهاية - يشاركه مصيره المحتوم ويدخله في زمرة وأوليائه { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا ((.من اتبعك من الغاوبن}{[الآية]

فليُنظر كل امرئ أي مصير يختار، وليحدد كل واحد منا كيف ((
يستغل وقته وعمره وأجله، أفي اكتساب عوامل النصر في
معركته مع الشيطان وأسباب النجاة من عذاب الله الذي ينتظر
العصاة؟ أم يا ترى يغفل مع الغافلين وينجر وراء إغواءات
الشيطان وإغراءاته حتى يكون من الهالكين؟
والنقطة الثانية التي ينبغي أن نقف عندها هنا في هذا المقام، ((
هي سعي الطغاة والظالمين من أهل الباطل إلى إزاحة قيادات
أهل الحق وصالحهم من أرض المعركة، إما بالسجن أو التهجير أو
القتل، وغالباً ما يلجأون إلى الوسيلة الأخيرة لما فيها من نتائج
إيجابية وسريعة في إضعاف صفوف الحق أو على الأقل إرباكهم
(. . .) وتعطيل مسيرتهم وصرهم عن المعركة الكبرى
وهذا ما نراه ونبصره في كل زمان ومكان، وما ينبغي أن نحسب ((
له ألف حساب، ومن الوسائل التي ينبغي علينا العمل بها لتجاوز
هذا العائق، هو السعي نحو إيجاد قيادات بديلة وجاهزة لمواصلة
العمل والتحرك في حال غياب القيادات الأولى، حتى نضمن للعمل
الاستمرارية، وحتى نتنصر على الشيطان فنجعل كيدته في نحره.
فهو يسعى من رواء تصفية القيادات وأمراء العمل الإسلامي إلى
كسب الوقت، وإغراق أهل الحق في متهاتات التخبط وإعادة
تنظيم أمورهم، حتى يتمكن هو وأولياؤه من التقدم في الإفساد
(. . .) وصرف الناس عن الحق وعن سبيل الله